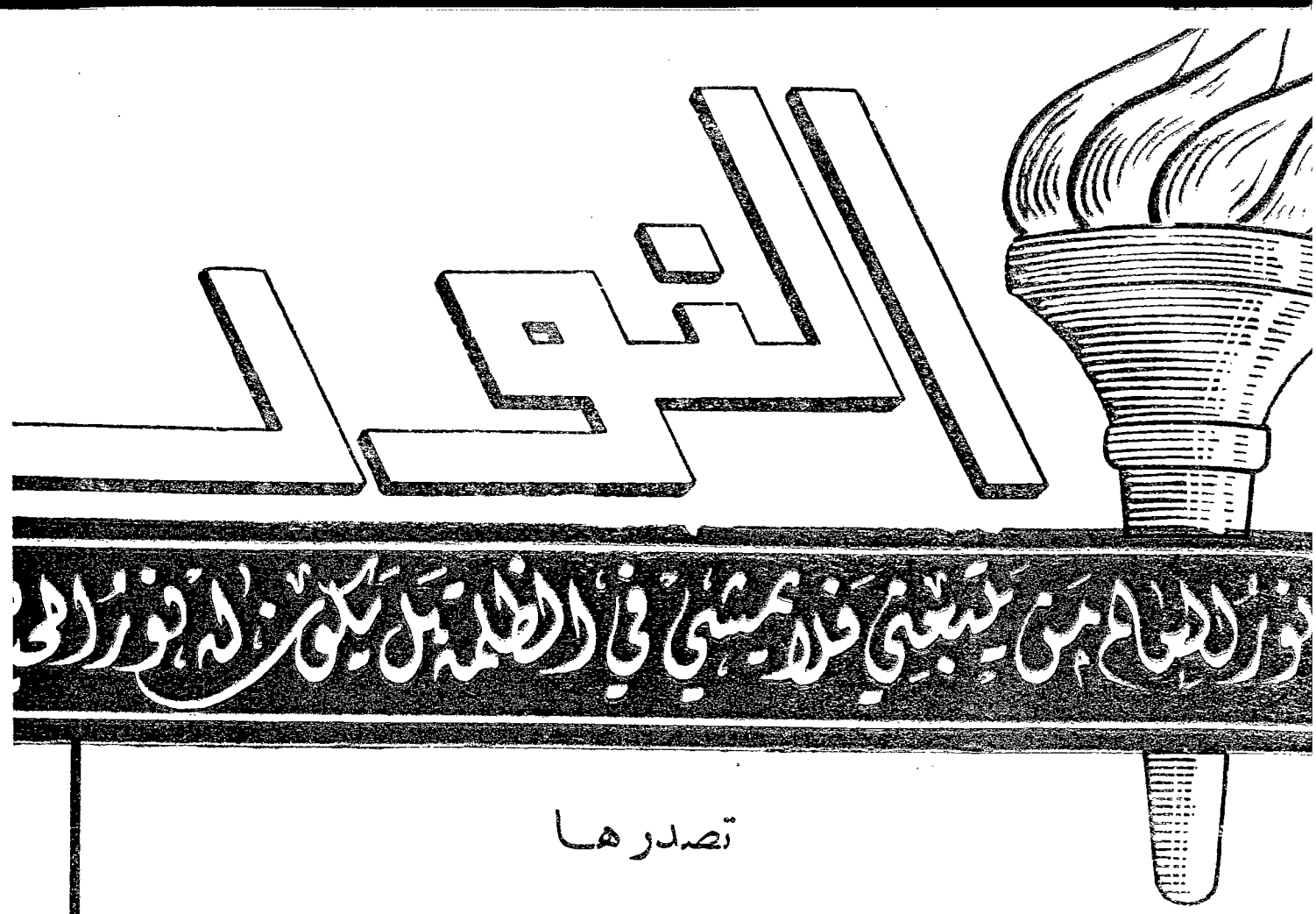

تصدرها

حركة الشبيبة الأرثوذكسية

المعترف بها من المجمع الانطاكي المقدس

من محتويات العدد

الميلاد — ولادتنا الجديدة
بقلم الارشمندريت ليف جيلله
الميلاد ، عيد جسد المسيح السري
بعض اقوال الاباء فيه
الذكرى المئوية الثانية عشرة للقديس يوحنا الدمشقي
تقدمة وتعريف
بقلم الدكتور ادوار لحام
القديس يوحنا الدمشقي كرجل لاهوت
بقلم الارشمندريت ليف جيلله
يوحنا الدمشقي الفيلسوف
بقلم الاستاذ غسان تويني
يوحنا الدمشقي وبيئته التاريخية
بقلم عطوفة الاستاذ حبيب ابي شهلا
زاوية الاخبار

حركة الشبيبة الارثوذكسية

كانون الاول ١٩٤٩

الميلاد — ولادتنا الجديدة

للارشمندريت ليف جيلله
نقلها عن الفرنسية الى العربية
الاستاذ ر.ف.ع.

■

اننا بتكريمنا ميلاد يسوع المسيح لا نقوم بتقديم الاحترام لحدث تاريخي صرف خارج عنا . ذلك لان الميلاد حادث له علاقة بكل واحـــد منا . وقد يولد يسوع المسيح بطريقة روحية في كل نفس بشرية تفتح له قلبها على مصراعيه وتستقبل النعمة الخاصة بعيد ميلاده . وفي دواخلنا نحن ايضاً من المستطاع ان يتجسد كلمة الله فينا فيشفي جسدنا وينقله من حال الى حال. هذا الجسد الذي يسبب في غالب الاحيان سقوطنا في وهاد الخطايا . ولا يعني هـذا ان الكلمة يتجسد فينا تجسداً حقيقياً بمفاد هذا التعبير حرفيـــاً بل يعني الاتحاد الحقيقي الخالص بين ذواتنا وبين شخص الله المتأنس . ففي الميلاد يصبح يسوع الذي هو نور العالم نوراً داخليـــاً لنا يشع في ظلماتنا . ومهما تكن ظلماتنا كثيفة حالكة فانها لا تستطيع بالاطلاق ان تثبت امام اضواء هذا النور الداخلي المرشد السامي لافكارنا واعمالنا .

فنعمة الميلاد اذن انما تحل علينا عند قدوم يسوع الينا واستقراره في داخلنا . على ان هذا القدوم وهذا الاستقرار لا يتركاننا في الحـــالة التي كنا عليها قبلها . انهما يتطلبان منا تجدداً داخلياً لانه من العبث التوفيق بين الطهارة والنجاسة وبين الخطيئة والقداسة . ولهـــذا السبب نفسه فالميلاد لا يعني ولادة يسوع المسيح في

داخلنـــا وكفى . بل يعني ولادتنا نحن ولادة جديدة . ذلك لان النفس المولودة ولادة جديدة هي وحدها يمكنها ان تكون مقراً للمسيح المولود ولادة جديدة . ولنذكر ههنا كلمة يسوع الى نيقوديموس حين قال له : لا تعجب من هذا الذي اقوله لك انه يجب عليك ان تولد من جديد (يوحنا ٣:٧) .

والولادة الجديدة لا تتم بواسطة معمودية مائية ثانية بل بالحري بواسطة معمودية الروح التي يظهر مفعولها بالتوبة . بالاعتراف بالخطايا . بالغفران الالهي . بتغيّرنا تغيّراً ادبياً شاملاً . ونجدها موصوفة بدقة في كلمات الرسول القديس بطرس حين قال « فانبذوا اذن عنكم كل حقد وكل غش ونفاق وحسد وغيمـــة . وكاطفال مولودين حديثـــاً اشتهوا بحرارة لبن الكلمة الخالص الذي ينشئكم للخلاص » : (١ بطرس ٢:١-٢) .

فاشتهاء اقتبال كلمة الله وتسيير حياتنا على منهاجها وابعـاد كل انواع الاغذية الاخرى المغشوشة عنا هذه الاغذية التي لا تمت بصلة الى ذاك اللبن النقي . واستقرارنا دفعة واحدة لا ردّة بعدها في ربوع الحق وسلامة النية هـــذه كلها تؤلف مظاهر الولادة الجديدة . وبهذه الولادة الجديدة نتلاقى مع يسوع المسيح المولود جديداً .

ومن اجل هذا ينبغي علينا ان ندرك مقدار الجد والخطورة اللذين يجب علينـا معهما ان ندنو من عيد الميلاد . حقاً ان الميـلاد هو العيد السعيد المتسامي بالنعم انه عيد الالفة والمودة . عيد الاخاء وعيد العائلة . عيد الابتسام والاطمئنان . ذلك لان المذود يظهر لنا مقدار صلاح الله وجوده وعطفه . غـلى انه فيما يختص بشخص كل منا وخلاصه فان الميلاد يفقد معناه ان لم نسمع صوت العيد يقرع اذاننا قائلاً لنا : يجب عليك ان تولد من جديد . كن طاهراً نقيـاً كالطفل الصغير . درّب نفسك على اشتهاء لبن الكلمة الالهية وعلى تذوقه وعلى التلذذ به .

وفي الميلاد الحالي من سنة ١٩٤٩ يجب علينا ان نحمد الله اولا على نعمة التجسد الفائقة حدود العقول ثم على بذل الآب لابنه من اجل خلاص العالم طالبين الى الله بشوق عظيم ان يسمح بان يولد يسوع المسيح ايضاً اليوم في داخلنـا على انه يجب علينا ان نصلي بحرارة لكي يتحقق فينا الشرط اللازم من اجـل قدوم يسوع ومن اجل استقراره في صميمنا اريد ان اقول يجب علينا نحن انفسنا ان نولد من جديد . وان يجعـــل كل واحد منا في هذا العيد من نفسه انساناً جديداً يترنم بترنيمة جديدة . آمين .

الميلاد

عيد جسد المسيح السري

بعض اقوال الاباء فيه

حيث اننا قد تناولنا شركة ولادة المسيح فلنبتعد عن اعمال الجسد . فاعرف اذن ايها المسيحي مقامك الرفيع . فقد غدوت شريكاً للطبيعة الالهية . لذلك يجب عليك ان لا ترجع الى انحطاطك الاول بعيشك في احوال غير جديرة بمقامك . اذكر السيد الذي تنتمي اليه واذكر الجسد الذي انت عضو فيه . اذكر ان الله قد انتزعك من سلطان الظلام وغرسك في ربوع النور ومملكة الله .

لاون الكبير

فالكلمة اذن الذي اتخذ من الانسان جسداً بات منظوراً بعد ان كان لا يمكن ان يصل اليه النظر. فالكلمة صار انساناً وقدجسم فيه الجميع جاعلاً من ذاته رأساً للكنيسة جاذباً اليه كل احد في الوقت الملائم .

ايريناوس

رأس وجسد هذا هو المسيح بكامله . فالرأس هو ابن الله الوحيد وجسده هو الكنيسة . وهذا الخبز الذي تراه على المذبح المتقدس بكلام الله هو جسد المسيح . وهذه الكأس او بالحري هذا الذي تحتويه الكأس المتقدس بكلام الله هو دم المسيح . وقد صرت انت هذا الذي تناولته لان الرسول يقول : « خبز واحد جسد واحد وان نكن كثيرين» . وكذلك تصبح انت الخبز الذي هو جسدالمسيح. انظر رعاك الله معنى هذا الاتحاد . ويا لقداسة هذا السر ويا لعظمة هذا الاتحاد . ويا لفخامة هذة المحبة . فيامن يريد ان يحيا ان وسائط العيش من ينبوع الحياة هي بين يديك . فتعال الى يسوع وآمن به وامتزج فيه لكي تتجدد حياتك .

اغسطينوس

الذكرى المئوية الثانية عشرة

للقديس يوحنا الدمشقي

احتفل العالم المسيحي في الشرق وفي الغرب بذكرى مرور الف ومايتي سنة على انتقال القديس يوحنا الدمشقي . وقد اقام مركز بيروت في قاعة (وست هول) في الجامعة الاميركية حفلة تذكارية بهذه المناسبة السعيدة ، وها هي مجلة النور تنقل الى قرائها الاعزاء الخطب القيمة التي القيت في هذه الحفلة . كما انها تقدم لهم وصفاً موجزاً عن الحفلة التي اقامها مركز اللاذقية لنفس الغرض .

●

تقدمة وتعريف

كلمة الدكتور ادوار لحام

□

في شتى المناسبات لاسباب مختلفة واغراض متنوعة تقام حفلات وتلتئم جماعات. اما اجتماعنا اليوم فلاحياء الذكرى المئوية الثانية عشرة لانتقال مواطن لنا عظيم هو القديس يوحنا الدمشقي الذي سطع نوره في سماء بلادنا وكنيستنا، فخدم الاولى بكل مقدرة واخلاص ووضع في خدمة الثانية ما اغدق الله عليه من نعم غزيرة ومواهب فياضة .

اجل، انه من البديهي ان توجه حركة الشبيبة الارثوذكسية الدعوة لهذا الغرض بعد ان احتفلت بهذه الذكرى سائر الاوساط الادبية والدينية في القارة الغربية . انه من البديهي ان يحتفي بالشخص الذي ترعرع في دياره وخلد اسمها شباب يبحث عن امجاده الغابرة وكنوزه الموروثة ليستقي من ينابيع ماضيه غذاء لحاضره ويهيء بحاضره مستقبل نهضة واندفاع .

فلنرجع سوية عبر التاريخ الى دمشق الاموية الفيحاء حيث ولد قديسنا عام ٦٧٢م من احدى العائلات العريقة التي حافظت على ايمانها الارثوذكسي وتقواها المسيحية رغم تعدد المرطقات والشيع ورغم الفتح الاسلامي للبلاد . كان ابوه سرجيوس

بن منصور المدعو سرجون من اشراف دمشق المسيحيين ومقرباً الى الخليفة يزيد ويشغل في بلاطه وظيفة تعادل وزارة المالية في ايامنا .

وقد تثقف يوحنا على يد راهب متبحر في انواع العلوم والفنون فدرس قواعد الصرف والنحو والخطابة والهندسة والموسيقى وبصورة خاصة مؤلفات اباء الكنيسة واللاهوت المسيحي .

واستمالت صفاته الادبيـــة الممتازة وثقافته الشاملة انظار الخليفة الوليد فسلمه — بعد وفاة والده سرجون — رئاسة ديوان الشورى على ما لهذه الوظيفة من سموٍ وخطورة . فخدم بلاده بكل تفان وحكمة .

غير ان تبوءه هـــذه المرتبة السامية في الوظائف العامة لم يمنعه من الاهتمام بالشؤون الدينية واللاهوتية . واذا بنا نرى يوحنا بن سرجون (المسيحي العلماني ورئيس ديوان الشورى في بلاط بني اميه) يساهم في الدفاع عن العقيدة الارثوذكسية ضد الهراطقة من يعـــاقبة ومحاربي الايقونات فيكتب الرسائل اللاهوتية الشيقة وتنتشر رسائله هذه حتى في بلاد بيزانطة الرومية . ذلك ان يوحنـا كان يعتبر ان مسؤولية المحافظة على الحقيقة الارثوذكسية وان العمل في حقل الكنيسة ، هما من واجبات كل مسيحي واع علمانياً كان ام اكليريكياً .

...وفي ذات يوم قرر يوحنا ان يترك نهائياً العالم الذي احبه وخدمـه ليدخل حياةً اسمى منه ، الحياة الرهبانية ، وبالرغم من تعلق الخليفة الشديد به غادر قديسنا البلاط وحرر عبيده ووزع امواله على الفقراء ومضى الى الصحراء الى دير القديس سابا في فلسطين حيث اقتبلوه كابسط المبتدئين وتتلمذ هناك على يد احد الرهبان الشيوخ الذي جعله يمارس بصرامة ودقة فضائل الطاعة والتواضع باعتبارهما اساس الحياة الرهبانية .

في هذا الدير الشهير — بعد سنوات من العزلة التامة عن حياة العـــالم قضاها الدمشقي في التأملات والعمل اليدوي — اخذ قديسنا يؤلف الكتب ويرتب النشائد والصلوات لتمجيد الثـــالوث الاقدس والكنيسة . ثم سيم كاهناً وواعظاً للكرسي الاورشليمي . لكنه ما لبث ان عاد الى منسكه حيث توفته العزة الالهية في الرابع من كانون الاول سنة ٧٤٩ .

* * *

والحقيقة ان يوحنا لم يمت : انه لا يزال حياً في الفلسفة واللاهوت والكنيسة . فقد ترك في سيرته مثالا للخدمة الاجتماعية الصادقة وفي مؤلفاته صرحاً روحياً مهيباً ما

زال حتى يومنا قائماً متيناً . — وسوف يكلمكم الاستاذ غسان التويني احد خطباء هذه الحفلة عما تركه الدمشقي من اثر في تاريخ الفلسفة باقتباسه المبادىء الارسطاطالية وتحديد مفرداتها . وعن تأثير هذه الفلسفة في لاهوته .

فكان يوحنا اول من ادخل الطريقة العلمية المنطقية في اللاهوت المسيحي ووضع « بعرضه للايمان الارثوذكسي » الاساس الدائم للاهوت التدريسي في الشرق والغرب كما سيوضح لنا ذلك قدس الارشمندريت ليف جبله في كلمته .

هذا ولن اذكر لضيق المقام مؤلفاته التاريخية والخطابية والجدلية وان انسَ لا انسَ مؤلفاته الشعرية اعني اناشيده الروحية الرائعة التي ما برح قسم غير ضئيل منها مستعملاً في طقوس الكنيسة الشرقية في الايام والاعياد . وعلاوة على ذلك كان يوحنا الدمشقي اول من رتب الموسيقى البيزانطية جامعاً اصولها ومدوناً الحانها الثانية كما كان هو نفسه اول من رتب اللاهوت العقائدي التدريسي فاستحق من الكنيسة الجامعة ان يلقب «بمعلم المسكونة» و«بمجرى الذهب» و«بقيثار الروح».

امام هذا الانتاج الفكري العجيب في مختلف الفنون والعلوم البشرية والالهية، يقف العقل مذهولا ، يكاد لا يصدق انه في انسان واحد تجمعت مواهب هذه غزارتها وهذا تنوعها وان ذلك الانسان الفريد استطاع ان يُسدي الى العلم والوطن والفن والديانة على السواء ، خدمات جليلة هذا شأنها وان هذا الرجل العظيم مستشار بني امية هو نفس الراهب الدمشقي الوديع المنزوي في عزلة البرية القاحلة.

غير ان دهشتنا هذه تزول اذا ما عرفنا ان يوحنا ما كان سوى المصب الذي تجمعت فيه الانهار الجارية في الكنيسة الارثوذكسية والمحطة التي فيها رست انتاجاتها وحيويتها . فمرت به ارثوذكسية شاملة جسمها في مختلف ادوار حياته وخصوصاً في بيئته الاجتماعية فاذا بها — اعني الارثوذكسية — في ايام يوحنا كما في ايامنا كمال ومحبة وخدمة انسانية كما سيتبين لنا من كلمة خطيبنا المفوّه عطوفة الاستاذ حبيب ابي شهلا .

ولذلك فهذه الحفلة هي اكثر من ذكرى نقيمها لقديسنا الدمشقي ، هي في الوقت نفسه احياء لتراث الكنيسة المسيحية وتمجيد لحيويتها الجارفة ولحصب انتاجها البشري ولعملها المستمر في خدمة الانسان والمجتمع . فعسى ان نتفهم هذه الحقائق الاساسية ليتسنى لنا الولوج الى هيكل الذكرى المقدس بوعي وادراك كاملين !

القديس يوحنا الدمشقي كرجل لاهوت

محاضرة قدس الاب العلامة الارشمندريت ليف جيلله

نقلها من الافرنسية الى العربية بتصرف

الاستاذ ر.ف.ع.

♥

ان المهمة التي عهد بها اليّ في هذه الليلة هي ان ابسط لكم بكلمة موجزة شيئاً عن القديس يوحنا الدمشقي كرجل لاهوت .

لقد ترك يوحنا الدمشقي مصنّفات كثيرة في اللاهوت النظري حوتها رسائله القيمة ومؤلفات جليلة في اللاهوت النشائدي ضمتها ترانيمه الرائعة . فعمل في كتاباته كلها على شرح ايمان الكنيسة بدقة وحماس . فقد كانت الدقة تسود مؤلفاته النظرية والحماس الحانه ومؤلفاته الشعرية الكنائسية .

وتتألف مصنفاته النظرية اي العقائدية من كتابات كثيرة عن الحيوانات وعن الارواح وعن التريساجيون (التقديسات الثلاثة) ضد اليعاقبة والمانويين وايضاً من خطبه وشروحه للايمان . على ان مؤلفه العقائدي الاشهر انما هو الرسالة المعروفة بـ « ينبوع المعرفة » المؤلفة من كتب ثلاثة : كتاب الفصول الفلسفية وكتاب الهرطقات وكتاب الايمان الارثوذكسي . وهذا الكتاب الاخير هو الكتاب العقائدي الرائع الذي اخرجته عبقرية يوحنا الدمشقي فأجمل فيه تعليم الكنيسة وايمانها في القرن الثامن على منوال شامل .

قبل يوحنا الدمشقي كان اباء الكنيسة اليونانية يشرحون اللاهوت شرحاً طليقاً تاركاً المجال فسيحاً امام الابداع الشخصي شرحاً شعرياً بدهياً هو اقرب الى الحكمة منه الى العلم مستوحى من منطق افلاطون . اما لاهوت يوحنا الدمشقي فقد كان على الضد موضوعياً عقلياً تحليلياً علمياً عارياً من العناصر الشخصية رزيناً رزانة المدرسة الانطاكية . ولم تكن وسائله اليه وسائل افلاطون بل منطق انطاكية . وقد ادخل يوحنا الدمشقي الى مباحث اللاهوت الفيلسوف ارسطاطاليس . وفي جعله من التحليل العقلي وفقاً للقياس المنطقي الطريقة القانونية للمباحث اللاهوتية وفقاً لمنهاج ارسطاطاليس اسس طريقة البرهان العقلي المسيحية اليونانية .

فلما كان القديس يوحنا الدمشقي مؤسس اللاهوت المنطقي باللغة اليونانيـــة فقد كان المنشىء الاول لهذا النوع من اللاهوت المنطقي بلا منازع . وفي الواقع فان اللاهوت المنطقي في الغرب اللاتيني انمـــا يستقي مادته وبغزارة من ينبوع يوحنا الدمشقي . فقد قرأ كتاباته وسار في طريقه وقلده بطرس اللومباردي وتوما الاكويني . وكتاب الدمشقي عن الايمان الارثوذكسي الذي المعنا اليه هو الذي اوحى الى توما الاكويني ما كتبه عن اللاهوت . وفي الواقع فان عناصر المشابهة كثيرة بين الدمشقي والاكويني ، فقد اراد كل منهما ان يستخدم العقل البشري في مباحث الوحي الالهي دون ان يسمح بامتزاج العقـــل بالوحي . وقد كان كل منهما يحترم الكتاب المقدس وكتابات الاباء دون ان يتخلى عن حقوق العقل في هذا السبيل . وكان كل منهما في الوقت نفسه تلميذاً لارسطاطاليس دون ان يضحي بالتراث الافلاطوني الواصل اليهما على يد ذلك العبقري الغفل حامل الاسم المستعار « دنيس الاريوباجي » واخيراً فقد عمل كل منهما ما لم يعمله قط احد من الاباء قبلهما وهو انهما وضعا خلاصة وافية للاهوت برمته . ويبدو ان توما الاكويني كان اكثر توفيقاً من يوحنا الدمشقي في بحث اللاهوت النظري الا ان مصنف يوحنا له هذه الميزة المضاعفة في انه مهد لتوما السبيل قبل خمسة قرون ثم في انه الف كتابه في ظروف اكثر قساوة مما لا يقاس . فقد كتب توما كتابه في اكثر الاحوال ملاءمة فهو من نتاج القرن الثالث عشر عصر الجامعات والكاتدرائيات عصر لويس ودانتي العصر الذي كانت فيه نهضة العصور المتوسطـــة في الغرب في اوجها . اما كتابات يوحنا الدمشقي التي كتبها في سورية هذه البلاد التي احتلتها جحافل الغزاة العرب المسلمين فاختفت من فوقها معالم الثقافة المسيحية كلها فانها من صنع رجل جريء متوحد عاش مـــنزوياً ضمن جدران دير مار سابا بالقرب من اورشليم .

لم تكن كتابات يوحنا تحمل طابع الكمال بالطبع او الحد الفاصل في القول لكنها ما تزال قادرة على ان تقدم لنا خدمات كثيرة جليلة . وتدعونا وتحثنا على التفكير في ايماننا . وتحتج على التشاؤم الذي يقول بان العقـل البشري قاصر عن الارتفاع نحو الله . وتعترض على التصوف المزيف الذي يبتغي ان ينزل كل شيء الى منزلة الشعور الصرف بحجة الاختبارات الدينية . وترفع من شأن المعـارف

البشرية في نفس الوقت الذي فيه ترفع من شأن الوحي الالهي . وتقدر منطق ارسطاطاليس قدره . وتقدر في نفس الوقت قدر المنطق الخالد الكامن في النفس البشرية وذلك من اجل شرح وربط واستخلاص الحقيقة من منابعها . ثم من اجل كبح جماح النظريات الشاردة المتوغلة في وهاد الضلال .

ودخل يوحنا الدمشقي ايضاً حلبة النضال في حرب الايقونات التي اقامت الدنيا واقعدتها في تلك الازمان فكتب ثلاث خطب من اروع ما كتب قلم عن الايقونات وعن تكريمها بالروح والحق قال : الايقونة اي الصورة هي مرآة ذاك الذي نعبده والذي لا نعبد احداً سواه :

وكتب يوحنا ايضاً رسالة مستفيضة دعاها « مناقشة بين مسيحي ومحمدي » لانه عرف وجوب حصول محاورة بين النصرانية والاسلام . واذا كان في العالم من مكان يجب ان تحصل فيه مثل هذه المحاورة حتى في هذا الزمان الحاضر فهذا المكان انما يجب ان يكون ضمن نطاق البطريركية الانطاكية .

وليوحنا الدمشقي ايضاً صفة مسكونية . ذلك لان الكنيسة الغربية اعلنته معلما في الكنيسة الجامعة . فهو كما ترى رابطة تشد الغرب الى الشرق . ويضاف الى ذلك ان الذين كان ليوحنا عليهم تأثير اكثر من غيرهم مثل غلوكاس وبيكوس وبيساريون عملوا على التقريب بين الكنائس لا بل على توحيدها ايضاً . ويوحنا مثل توما لم يخصص مؤلفاً خاصاً بكنيسته بل نراه في مواضع كثيرة من كتاباته مقبولا في رومه وفي القسطنطينية في كل الذي كان يقول به . وكذلك نرى ان يوحنا هو — ان جاز لي القول — نقطة ارتداد صالحة يمكن الاستناد اليها في الرجوع الى الوراء على الطريق التي مشى عليها المسيحيون في البدء يداً بيد .

وقد ترك لنا يوحنا الدمشقي فضلاً عن كتاباته في اللاهوت النظري مصنفات ضخمة في اللاهوت النشائدي بترانيمه الكنائسية الرائعة . واني دون ان اناقض نفسي اجرأ على القول ان يوحنا هو اليوم حيّ بترانيمه اكثر منه بمؤلفاته . فقليلون هم الذين يقرأون كتابه عن الايمان الارثوذكسي لكن كل المسيحيين من اتباع الطقس البيزانطي يعرفون الحانه وترانيمه ويحبونها وخاصة ترانيم السحر الفصحية . وفي الواقع فان ترانيم القديس افرام وترانيم القديس يوحنا الدمشقي انما هي من التقدمات الجليلة التي قدمتها النصرانية السورية للكنيسة الجامعة . وقانون الفصح هذا هو في نظري اكثر هذه الترانيم رونقا فقد ارتفع فيه يوحنا الى اعلى قمم الشعر النشائدي الرمزي الذي تدفق به فمه في شعره . ومما لا ريب فيه انه كلما قرعت هذه الكلمات الخالدة اذن الروح المؤمنة ما توالى الليل والنهار جلبت لها معها النور والحبور مع قوة قيامة المسيح . وكذلك يفعل القديس يوحنا الدمشقي فعله فينا الى ما شاء الله ان يفعل .

يوحنا الدمشقي الفيلسوف

محاضرة الاستاذ غسان تويني

يطيب لي ، في هذه المناسبة ، ان اعود بالذاكرة الى اول عهدي بالقديس يوحنا الدمشقي — وعهدي به غير طويل ... — حين عرفني به صديقي وصديقكم الشماس اغناطيوس هزيم ، ومؤسس هذه الحركة الاستاذ جورج خضر . اذكر ذلك لاتمنى عليكم تحقيق ما وعد الشماس هزيم نفسه ، وما وعد جورج نفسه بتحقيقه : نشر التراث الذي تركه يوحنا بالعربية وجعل « ينبوع المعرفة » الذي فاض من قلب ذلك المعلم على مقربة من شفة كل مدمن .

كنا في ذلك الحين ندرس الفلسفة على شارل مالك الذي عرفنا بالقديس توما الاكويني دكتور الكنيسة الغربية . فمضينا وكان لنا شغف بالكتاب لا يحد ، ننقب عن قديس قيل لنا انه نشأ على مقربة منا وعرف بدكتور كنيسة الشرق ، الى ان عثرنا على مخطوطة قديمة في مكتبة والدي يرجع عهدها الى القرن الثامن عشر او التاسع عشر ، تبين لنا انها مقالات الدمشقي منقولة عن الاغريقية . فمضينا نقرأ فيها الى ان كان الفصح ، وذهب شباب الحركة الى دير البلمند في رياضة روحية ، فرأى جورج ان نأخذ معنا مخطوطة « الينبوع » لننعم بقراءتها هناك ، ونعمل على تحضيرها للنشر واعداد مقدمة لها في فلسفة المؤلف ولاهوته ، بحيث يتمكن الجميع من الرجوع اليها ولكن نظام الخلوة في البلمند حال دون انجاز المشروع ، فارجأناه الى خلوة اخرى ... ثم سافر جورج الى باريس وسافرت الى اميركا ، وتركنا الاب هزيم وحده مع المخطوطة فحملها معه الى باريس ... بحيث لا يمكنني الليلة ان اقرأ منها حتى ولا بعض تلك المقاطع الجميلة ، جمال الهيكل العقلي الذي ينظمه منطق الاغريق ، وتبثه في النفس الشرقية روح الحرية .

عسى ان يأتي حرمانكم من الاستماع الى يوحنا واضطراركم عوضاً عن ذلك للاستماع الى ما يصعب على قوله في فلسفته — عسى ان يأتي ذلك حافزاً لكم على تحقيق مشروع الغائبين .

وبعد أفليس في التحدث عن فلسفة قديس عاش قبل ان تنطفىء حضارة الاغريق شطط في التعبير ؟ او ليس الفيلسوف قديس الذين لم يعرفوا الله ؟ او ليس القديس من تعرف الى الحقيقة المجسدة فجاء تعبده لها خير وسيلة لمعرفتها بل خير معرفة للكون والحياة ، وللحق والخير والجمال ؟

ثم كيف يكون الفيلسوف قديساً ، والفيلسوف هو من آمن بالعقل المطلق ، والفلسفة هي فعل المنطق وتحكمه بشؤون الحياة ؟ الا يفرض علينا الدين ان نقول بمحدودية العقل البشري وبوجود من هو احكم من الانسان ، بوجود من لا يدرك كنه كيانه ولا يعرف سر حكمته ؟

الفيلسوف ، في اصل الكلمة هو محب الحكمة ، او قل « صديق الحقيقة » !.. ويوحنا ، الذي تبنى المفهوم الاغريقي عرف الفيلسوف في مقدمة الينبوع ، فقال انه محب الله ومقلد الله وزاد ان الله هو الحكمة والحقيقة . فيوحنا اذن قد نصر الفلسفة وجعل الفيلسوف قديساً قاطعاً بذلك سبيل الفلسفة الحقيقية على الذي لا يؤمن بالله . ولكنه بذلك استبق الاكويني في جعل الايمان عملية عقلية لا محض قلبية شعورية ، شأن الايمان عند المتصوفة .

زد على ذلك ان يوحنا اخذ بمفهوم الفلسفة الكلاسيكية الاصيل . واذا عدنا الى مقدمة كتابه المعروفة « بالديالكتيكا » وجدنا ان الفلسفة هي نظام المعرفة الشامل ، معرفة الالهيات والانسانيات ، معرفة ما يرى وما لا يرى ، انها فن الفنون وعلم العلوم . واللاهوت هو اذاً في اعلى مراتب فروع الفلسفة ، التي تشتمل ايضاً على الفيزياء والرياضيات (الفروع النظرية) ، كما تشمل الاخلاق والاقتصاد والسياسة ، وهي فروع الفلسفة العملية . وقد اجمع مؤرخو الفكر المسيحي على وصف يوحنا بالارسطوطاليسية ، والواقع انه ارسطوطاليسي في نظام تفكيره — اليس هو اول من وضع نظاماً شاملاً للاهوت — وارسطوطاليسي في نظرته الى الفلسفة وفي توزيعه مواضيع المعرفة الفلسفية ، وارسطوطاليسي حتى في مفهومه للانسان . ولكنه يخالف ارسطو حيث ينحرف معلم اثينا — وليعذرني المؤرخ — عن التراث المسيحي او التعاليم المسيحية :

فيوحنا اذن أقل ارسطوطاليسية من قرينه توما الاكويني ، الذي يكتفي من تعاليم الكتاب المقدس مقياساً سلبياً يصحح به ارسطو ، ولعل مرد ذلك الى بيئة قديسنا وثقافته ، مما سهل له التأثر بالنزعات النيو — افلاطونية التي لطفت من حدة العقل المجرد كما عرفه ارسطو . بل ان ثمة مقاطع في الينبوع تجعلنا نتردد في

اعتبار يوحنا دخيلاً على التقليد الافلاطوني – واذكر بنوع خاص ذلك المقطع عن الخليقة الذي يذكرنا بخليقة افلاطون ، ان في التعبير او في الجوهر .

بيد ان التقليد الارسطوطاليسي كان ابلغ اثراً في تكوين فكر يوحنا حتى انه يتجلى في معالجته لقضايا كنسية بحتة ، كقضية الايقونات مثلاً : فالحجة الارسطو طاليسية الاصل التي تقول بان الايقونات لا تفسد الدين ولا تحط من كرامة من تمثل لان المادة ليست فاسدة بطبيعتها ، ان هذه الحجة ادنى مرتبة من الحجة الافلاطونية الاصل التي تبرر استعمال الايقونات لانها تجعل من تمثل اقرب الى الحس الانساني واكثر حياة ، وبالتالي تساعد على التعبد : اليس الجمال دعوة الى الجمال ؟ !

ولكني اراني انجس حق مسيحية القديس باصراري على مقارنته تارة مع ارسطو وطوراً مع افلاطون ، وقد كان قبل كل شيء تلميذ الناصري حتى في نظرية المنطق: يقول يوحنا ان العلم بالنسبة للعقل كالنور بالنسبة للعين ، وكما ان ليس في العين نور كذلك ليس في العقل علم انما يحتاج العقل الى عنصر خارجي ، الى معلم ينبعث منه النور . وهذا المعلم هو المسيح ، اي الحقيقة المجسدة والحكمة المجسدة !

وهو في فلسفة العقل « يوحناوي »... ابن الانجيلي الذي قال « في البدء كان الكلمة » : فنظرية انبثاق المعرفة من الله الكلمة ، من اللوغوس ، احدى النظريات الاساسية التي تقوم عليها المسيحية الارثوذكسية .

ارى اني قد شارفت على لاهوت يوحنا واخشى ان أحيد عنه لئلا ادخل في موضوع سياسته . ليسمح لي اذن قبل ان اختتم هذا الحديث ان اشدد على حقيقة اراها من الاهمية بالمكان الاول : مهما يكن يوحنا ارسطوطاليسياً ، واغريقياً ، او فيلسوفاً ، في مفهومه للكون وللعقل وللمعرفة فانه يظل قديساً مسيحياً في فلسفته العملية : فلسفة الاخلاق .

فهو على اخذه بنظرية ارسطو في حرية الارادة ، التي يعتبرها الاغريقي شرط المعرفة ، يبني نظريته في الاخلاق بالنسبة للآخرة لا بالنسبة لهذه الحياة . ولو لم يكن ثمة من آخرة فما الذي يردعنا عن جعل اللذة مبدأ الحياة بل واساس المعرفة نفسها ؟ القيامة والدينونة هي الحدث الوحيد الذي يميز الانسان عن الحيوان . وانسان ارسطو لم تستقم اخلاقه ، بمقياس المسيحية ، لانه لم يع حقيقة القيامة والحساب .

حبذا لو كتب يوحنا في فلسفة الدولة ولو فعل لقال لنا كم نحن بحاجة الى ساسة قديسين . او على الاقل فلاسفة ، الا ان يوحنا جعل حياته مثالاً لتلك السياسة ،

يوحنا الدمشقي وبيئته التاريخية

محاضرة عطوفة الاستاذ حبيب ابي شهـــلا

لقد احسنت حركة الشبيبة الارثوذكسية في اقامة هذه الحفلة التذكارية للقديس يوحنا الدمشقي، واحسنت ايضاً في اختيار الخطباء الذين استمعتم الى بيانهم الرائع.

ولكن يظهر ان لكل حسنة سيئة.

فقد اخطأ شباب الحركة في اختيـــاري لاكون في عداد المتكلمين واخطأت بدوري بقبول هـذا التكليف.

اما انا فلي عذري، وهو هذا الضعف الذي احس به نحو الحركة حتى اصبحت عديم الارادة معها مطواعاً، فنسيت او تناسيت اني آخر من يحق له التكـــلم في هذا الموضوع، فنزلت عند رغبة اخواني وقبلت.

واما شباب الحركة فلست واجـــداً لهم اي عذر بالرغم من محبتي لهم وتقديري لحركتهم وجهودهم، فليس لهم الا ان يلوموا انفسهم، وليكن لومكم عليهم،

والاغرب والانكى من كل هذا، هو انهم نفذوا فيّ حكم الاعدام بالشنق، كلفوني فاعتذرت، وأبنت عجزي، فوعدوني بتسهيل هذه المهمة الشاقة عـــليّ، وبتحضير المراجع والمصادر الـــلازمة حول الموضوع الذي حددوه لي: «يوحنا الدمشقي كرجل سياسي» وعندما تصفحت ما قدموه لي، صعقت اذ وجدت هـذه المراجع غير كافية واذ اكتشفت ان يوحنا الدمشقي لم يعرف في التـاريخ كرجل سياسي، بل عرف واشتهر بحياته الدينية وبمؤلفاته الفلسفية واللاهوتية.

وهنا شعرت اني كالمشنوق، معلقاً على الاعواد دون اي سند فرحت افتش واطالع، واتخبط، فلم اجد في شتى الموسوعات الا النزر القليل حول حياة يوحنا الدمشقي المدنية واثاره السياسية.

ولكن شباب الحركة اشفقوا عليّ، وغيروا الموضوع وجعلوه اعم واوسع وهو الموضوع الذي سأتناوله في حديثي هذه الليلة «يوحنا الدمشقي وبيئته».

اما وقد انتهيت من هذا العتاب الاخوي ولعلكم تجدون فيه رحمة وعـذراً لي، فاسمحوا لي ان اصارحكم بحقيقة كانت سبباً لغبطة قلما يتاح لرجل مثلي ان يشعر بها، هي الغبطة التي تعرفت عليها يوم كنت تلميذاً في هذه الجامعة وفي غيرها

من معاهد العلم ، هي غبطة الدرس والتنقيب ، هي غبطة العلم والنور ، هي غبطة التاريخ واثاره ، والمثل التي يتكشف عنها ، هي غبطة الاحياء عندما يتتبعون سيرة الاموات .

هي غبطة من يعيش في بحران الحياة ويعود هنيهة الى الماضي البعيد فيجد فيه وفي مآثره عبراً وعظات .

ان البيئة التي عاش فيها يوحنا الدمشقي هي بيئة الدولة الاموية في دمشق . ولتفهم حياة هذا القديس في جميع اطوارها يجب الرجوع الى الاحداث التي سبقت وعاصرت انشاء الدولة الاموية ، لنلقي عليها نظرة خاطفة .

كانت سوريا بما فيها دمشق في اوائل القرن السابع خاضعة للامبراطورية البيزنطية ، وكانت هذه الامبراطورية في طور التقهقر والانحلال . في هذه الحالة اتجه الفتح العربي نحو سوريا وفلسطين. وكانت الجيوش العربية الزاحفة نحو سوريا تحت قيادة ابي عبيده ، وبعد وفاته حل محله يزيد بن ابي سفيان ثم خلفه شقيقه معاوية مؤسس الدولة الاموية .

ابتدأ حصار دمشق في شهر آذار من سنة ٦٣٥ ، وكانت جيوش الامبراطور هرقل معسكرة في هذه القاعدة العظيمة ولكن نفرة الاهلين اضطرت هذه الجيوش للانسحاب ، وبقي سكان المدينة دون حماية او سلاح — فقرروا مفاوضة العرب ، وعقدوا معهم صلحاً اسماه البعض « عنوة وصلحاً » للدلالة على ما امتاز به هذا الصلح من رضوخ للقوة ومن افادة من حلم الفاتحين .

وقد عقد هذا الصلح بواسطة احد رؤساء الكهنة وكان يعاونه « منصور بن سرجون » جد يوحنا الدمشقي .

اما منصور هذا فقد كان سليل عائلة عريقة في التجارة والمال وكان احد اعيان دمشق ومديراً لماليتها في العهد البيزنطي .

دخلت الجيوش العربية دمشق . فاستقبلها الاهالي ليس استقبال الفاتحين بل استقبال المخلصين من نير البيزنطية .

كان النصارى يعيشون بكثرة في دمشق ، كانوا اهل علم وخبرة ، وكانوا يشغلون معظم المراكز الادارية تحت حكم البيزنطية ، فاضطر العرب الى الاستعانة بهم وبخبرتهم .

احتفظ معاوية بمنصور بن سرجون ، وسلمه « ديوان الخراج » اي ادارة بيت المال و كان من اهم وظائفه ، جباية المال والضرائب ، وادارة مالية الجيش وتأمين حاجته من سلاح وعتاد وغذاء ، وتفتيش مستودعاته وتنظيمها ، في ذلك العهد كانت الدولة محصورة في الجيش والمال اللازم له ، ولهذا كان ابن سرجون يقوم باخطر عمل في هذه الدولة ، ولقد وجد فيه معاوية معاوناً امينا ومستشاراً حكيماً واداريا حاذقاً ، فرفعه الى اعلى مرتبة وعينه وزيراً لبيت المال. خدم ابن سرجون معاوية وخليفته يزيد باخلاص وامانة ، وبقي محتفظاً بوظيفته وسلمها لولده سرجيوس ولحفيده يوحنا من بعده .

ومات وهو اقرب المقربين من الخليفة واعوانه .

في سنة ٦٦٠ اجتمع عدد كبير من الشيوخ والامراء في مدينة القدس وبايعوا معاوية بالخلافة . وكان على الخليفة الجديد ان يختار عاصمة ملكه ، هل تكون المدينة ام الكوفة ، كما اعتقد البعض ؟ عرف معاوية اهل الشام واختبر طاعتهم واخلاصهم وحبهم للنظام ، وشهد رقيهم وخبرتهم في الشؤون الادارية ، فوقع اختياره على دمشق ، فحل فيها وجعلها مقراً للخلافة ، وحاضرة للدولة الاموية التي باشر بتأسيسها .

كانت دمشق قبل الفتح العربي مقر حكام الروم ، فأصبحت عاصمة الدولة العربية في عهد معاوية وغدت اكبر مدن الاسلام في ذلك العصر وافخمها في الابهة والعمارة ، كما امتازت على غيرها من المدن بكثرة انهارها وعيونها ولطافة جوها.

انشأ فيها معاوية قصر الخضراء — قصر الخلافة — فجاء آية في الجمال والجلال ، ازدانت جدرانه بالفسيفساء واعمدته بالرخام والذهب وسقوفه بالذهب المرصع بالجواهر ، كما لطفت جوه النافورات الجميلة والمياه الجارية والحدائق الغناء .

في هذا القصر كان يجلس الخليفة للناس في وسط القاعة الكبرى وحوله سادات قريش وامية ، ويقف امامه الشعراء واصحاب الحاجات .

ويذكر ياقوت في معجم البلدان ان دمشق كانت حصينة ، منيعة ، اقيمت حولها اسوار قوية بلغ ارتفاعها ثمانية امتار وعرضها خمسة عشر متراً. وكان لدمشق سبعة ابواب ، ولما تولى الوليد بن عبد الملك ، جمّل دمشق وضواحيها بالمباني العديدة ، واغرق في العمارة اغراقاً عظيماً حتى ضربت بذلك الامثال .

ومن آثار الامويين الخالدة في دمشق مجاري المياه ، وقد بلغت مجاري الماء من الدقة بحيث صار لكل دار في دمشق نافورة خاصة ، وذلك بفضل الاقنية السبع الرئيسية التي شقها الامويون لايصال الماء الى المدينة .

وبعد ان استتب له الامر في دمشق حاول معاوية ان يفتتح القسطنطينية ففشل ، واقدم على تثبيت احتلاله للساحل الفينيقي ، اي الساحل اللبناني ، فأنشأ قواعد للاسطول العربي في عكا وصور وطرابلس ، وكان يستعمل الخشب اللبناني لبناء السفن ، وكان قادة وبحارة هذه السفن من اهل الساحل ، وهذه هي السفن التي استعملها العرب في غزواتهم عبر البحار وكانت اول انتصاراتهم البحرية احتلال جزيرة رودس .

اشتهر معاوية بالحلم ، وكانت شخصيته قوية فذة ، وكان يلجأ الى اللين والمسايرة في استصناع اعدائه ، حتى تمكن من تنظيم الدولة ودوائرها ، ومن توطيد الامن في شتى المدن والربوع .

وقد امتاز عهد معاوية بالرفق والحسنى والعدل نحو غير المسلمين وبالاخص النصارى .

ويؤكد لامنس انهم كانوا يتمتعون في ذلك العهد بالراحة والطمأنينة وحرية مدنية ودينية واسعة لا تقل عما كانوا يتمتعون به في عهد البيزنطية .

ولقد ذكر عن معاوية انه بعد مبايعته في القدس زار الاماكن المقدسة وصلى فيها .

وكان طبيبه الخاص مسيحياً .

وعاش ابنه وخليفته يزيد برفقة مسيحيين هما ابن سرجون والاخطل .

وسمح لولده يزيد بان يستعين براهب على تربية ولده خالد .

وعندما هدمت كنيسة العدسية بفعل الزلازل امر بترميمها على نفقته .

وكان النصارى يعملون في المكاتب والدواوين ، ويستعملون اللغة اليونانية ، ولكن الحال تبدل في عهد عبدالملك الذي عمل على تقوية العنصر العربي الاصيل ، وامر باستعمال اللغة العربية .

فبدأ منذ ذلك الحين يتقلص نفوذ العناصر الغربية في الدولة ،

ومن الذين برزوا في ذلك العهد منصور بن سرجون ، رئيس ديوان الخراج لدى معاوية ويزيد ، ومن بعده ولده سرجيوس لدى عبدالملك بن مروان ،

ورزق سرجيوس اولاداً عدة منهم « يوحنا » الذي ولد في سنة ٦٧٦ ب.م وهو القديس يوحنا الدمشقي صاحب الذكرى التي تحتفلون بها اليوم ويسميه المؤرخون

العرب يحيى الدمشقي .

رغب ابوه في ان ينال يوحنا قسطاً وافراً من العلوم . فتوفق الى اسير ايطالي يدعى الراهب قوزما سباه العرب من بلاد كلافريا في ايطاليا فتتلمذ على يده حتى اصبح ضليعاً في الرياضيات والفلسفة والفلك والموسيقى واللاهوت .

وعندما مات والده عين مكانه في الديوان وتسلم ادارة بيت المال والخراج والجيش كما فعل جده منصور وابوه سرجيوس من قبله .

خدم الخليفة والدولة بكل امانة واخلاص ، واحتل بفضل علومه ومقدرته مكاناً مرموقاً ساعد على اشاعة الطمأنينة والامان في نفوس النصارى في الدولة الاموية ، ولكن البيزنطيين لم يرتاحوا لهذا الهدوء الشامل الذي ساد هذه الدولة التي بنيت على انقاض امبراطوريتهم ولم يسرهم اخلاص رعاياهم القدماء الى دولتهم الجديدة ، ولا تمتع احد اعيانهم بمركز مرموق . فعمدوا بواسطة عمالهم وجواسيسهم الى الدسائس واثارة الفتن .

ولم تنجح مساعيهم الا بفضل حدث كان له اثر عميق في حياة يوحنا الدمشقي .

اقدم الامبراطور « لاون الايصوري » على تحريم الايقونات وصور القديسين ، فعارضه يوحنا معارضة شديدة قاسية اغضبت الامبراطور غضباً شديداً ، فقرر السعي للايقاع به ، فزور كتاباً قلد فيه خط يوحنا وتوقيعه موجهاً اليه وفحواه ان يوحنا عرض على الامبراطور تسليمه دمشق . وارسل هذا الكتاب الى الخليفة يزيد . فلما اطلع عليه اعتقد ان يوحنا قد خانه « فامر بقطع يده ، وبترت يمناه ، وطرده من وظيفته في رئاسة الديوان .

ويقول احد مؤرخي يوحنا انه اثناء اوجاعه الاليمة اخذته سنة النوم ثم استيقظ ورأى يده قد شفيت . وقد تمكن يوحنا فيما بعد من ان يثبت للخليفة حقيقة الامر وبراءته من الكتاب المزوّر .

وشاء الخليفة ان يعيد يوحنا الى وظيفته ورغب في التكفير عن خطأه وتسرعه ولكن يوحنا رفض باباء ، واعتزل السياسة والوظيفة ، ووزع املاكه واموالهعلى اصدقائه وعلى الفقراء . وترك دمشق ثم انزوى في دير مار سابا ، وكرس حياته

الباقية للعلم والفلسفة واللاهوت ، وترك في ميادينها آثاراً خالدة استمعتم في هـذا المساء الى نبذة عنها من الخطباء الذين سبقوني .

هذا هو الرجل الذي عاش في الشطر الاول من العهد الاموي وهذه هي الناحية التي صرف فيها القسم الاوفر من حياته وجهوده العلمية .

اما وقد تعرفنا الى البيئة التي عاش فيها . فيجب الاشارة الى ظاهرة لها قيمتها ولها اثرها .

ان يوحنا الدمشقي عاش في بيئة اسلامية ولكنه كان يتمتع بحرية تامة ليس فقط في العقيدة بل في الفكر والكتابة ولقد بلغت الحرية في ذلك العهد درجة تثير الاعجاب . ولقـد كتب الاستاذ احمد امين في مؤلفه « فجر الاسلام » الصفحة ٦١٤ : اضف الى هذا انه اوجد الاحتكاك الديني بين المسلمين والنصارى فاخذوا يتحادثون ويتجادلون في العقائد، ويدلنا على ذلك ان احد المؤلفين ، في هذا العصر واسمه يحيى الدمشقي ، الف رسالة عـلى هذا النمط « اذا قال لك العربي كذا فاجبه بكذا » .

وفي المؤلف نفسه صفحة ٢٣٣ :

« وكان بالشام نصارى كثيرون احتفظوا بدينهم ورضوا بدفـع الجزية عن رؤوسهم والخراج عن ارضهم ، ودخل كثير من نصارى الشام الاسلام وكان من هؤلاء مثقفون بالثقافة النصرانية ، وقامت المساجد بجانب الكنائس ، فسرعان ما كان الاحتكاك بين الاسلام والنصرانية ، وكان بينهما جـدال وحوار وخصومة يدل عليه ما اثاره في كتابه يحيى الدمشقي كما اسلفنا ، وقد سبب هـذا الاحتكاك ظهور الكلام في القضاء والقدر او الجبر والاختيار ، والكلام في صفات الله هـل هي عين الذات او غيرها ، ولعل هذا هو الاساس الاول لعلم الكلام في الاسلام».

وبواسطة هـذا الجدل الديني انتشرت الثقافة اليونانية في الاوساط الاسلامية منذ العصر الاموي . وليس في العصر العباسي كما يعتقد بعض المؤرخين ، وهذا دليل جديد على ان العرب في ذلك العصر لم يكونوا بمعزل عن الثقافات الاجنبية التي وجدوها في البلاد التي افتتحوها ، بل بالعكس كانت هـذه الثقافات تتفاعل بفضل المقيمين وبفضل المناقشات التي كان العصر الاموي يتقبلها وينشطها ويسير عـلى منوالهـا .

ذكرى القديس يوحنا الدمشقي

في مركز اللاذقية

اقام مركز اللاذقية في اجتماع عام للاعضاء بتاريخ ٤ كانون الاول ١٩٤٩ احتفالا بمناسبة مرور ١٢٠٠ سنة عـــلى وفاة القديس يوحنا الدمشقي . فتكلم في الاجتماع رئيس المركز معرفاً القديس ومبيناً الغـاية من هذه الذكرى . وتلاه الاخ شفيق منصور عضو اللجنة الثقافية سارداً تاريخ حيـــاة القديس ، ثم تكلم الاخ الاستاذ مرسيل مرقص رئيس اللجنة الثقافية مبينـاً اثر القداسة في حياة يوحنا وفلسفته وموسيقاه وسياسته . وفي الختـام تكلم الاخ الاستاذ اسبيرو جبور عن القديس يوحنا بصورة عامة شاملة .

وقد تخلل هذه الكلمات تراتيل كنسية من نظم القديس نفسه ، انشدتها جوقة المركز ، فكان الاجتماع موفقاً عرف فيه الاعضاء القديس يوحنا الدمشقي والمكانة التي يحتلها في الكنيسة .

ولقد احسن الاستاذ احمد امين بقوله (صفحة ١٦٥) : « ولا يقدح هـذا في اية امة . فالعلم شائع ومرفق مباح ، ويغترف منه الناس جميعاً ، وليس له حدود فاصلة كالتي ترسمها الدولية ، انما الذي يقدم في الامة حقاً ان تغمض عيونها وتسد آذانها عما حولها من نظريات وافكار وان يدفعها التعصب الاعمى ان تنسب لنفسهـــا ما ليس لها ، وتعزو اليها خلق ما لم تخلق وابتداع ما لم تبتدع » .

وتوفي يوحنا الدمشقي في دير مار سابا في منتصف القرن الثامن .

يا شباب الحركة . اذا عجزت عن ان اوفي هذا الموضوع حقه ، فلن اكون عاجزاً عن شكركم على ما تبذلونه من نشاط وجهود ، وعن التعبير عن حبي لكم واعجابي بكم ، واملي الذي يشتد يوماً عن يوم في هـذه النهضة المباركة التي ستتم على يدكم ليس فقط في طائفتكم بل في صفوف هذه الامة الفتية .

في جوهر الله

للقديس يوحنا الدمشقي

♥

« على من يريد ان يتكلم او يسمع عن الله عز وجل ان يعلم علماً يقيناً ان درس طبيعة الله ودرس تدبيره للكون ليس من الامور التي لا يعبرون عنها ولا يتكلمون فيها بتاتاً ولكنه ليس ايضاً من الامور التي يتكلمون بها ويعبرون عنها بكليتها واكثر من ذلك انها ليست كلها من الامور الغير المعروفة ولكنها ليست كلها موضوع معرفة . اذ ان ما يعرف من الامر ليس العبارة التي يعبرون بها عنه ومن يتكلم ليس هو بالضرورة من يعرف .

ولعمري ان اسراراً كثيرة من تلك التي تدل على كنه الله لا يمكن التعبير عنها ولذا فاننا نحن البشر عند التكلم فيها نرى انفسنا مضطرين الى التعبير عنها بعبارات تصح علينا نحن ابناء آدم ، وهكذا فاننا نعطي عن الله صورة آدمية لالحاقنا به النوم ، والاستراحة ، والاضطجاع ، واليدين ، والرجلين وما شاكلها . اما البرهان على ان الله موجود وعلى انه لا بدء له ولا نهاية ، ازلي ابدي ، غير مخلوق او متغير او مستحيل ، بسيط غير مركب عادم الجسم ، غير محسوس غير محصور ولا محدود لا وصول اليه ولا يمكن تصوره او ادراكه صالح عادل ، قادر على كل شيء ، مبدع البرايا ، ضابط الكل ، ملاحظ الكل ، ومعتن بالكل ، قاض متسلط ، كل هذا قد عرفناه بالعقل واعترفنا به .

اما الدليل على وحدانيته ، اعني انه جوهر واحد وانه موجود في ثلاثة اقانيم الآب والابن والروح القدس ، وان الآب والابن والروح القدس هم واحد في سائر الحالات ما عدا عدم الولادة والولادة والانبثاق ، وان الابن الوحيد كلمة الله الهنا بتحنن رحمته ولاجل خلاصنا حبل به خلواً من زرع بمسرة ابيه وبمؤازرة الروح القدس وولد بدون فساد من مريم والدة الاله البتول بالروح القدس وصار منها انساناً كاملاً ، وانه اله تام وانسان تام ذو طبيعتين لاهوتية وناسوتية ، عقليتين تشاء آن فاعلتين مستوليتين على ذاتيهما ، وكما يقال ، حاويتين كل ما يليق بكل

واحدة منهما اعني لكل طبيعة حدها ونطقها ، وانها اقنوم واحد مركب . وانه جاع وعطش وتعب وصلب وذاق خبرة الموت والدفن وقام بعد ثلاثة ايام وصعد الى السموات التي منها ورد الينا ، وسيجيء ايضاً في آخر الازمان ، كل هـذا يشهد به وبصحته الكتاب الالهي ، ووصف القديسين كله له .

واما البحث عن جوهر الله وماهيته وكيفيته ، وكيف يوجد في كل البرايا ، او كيف ولد اله من اله ، او كيف انبثق ، او كيف تنازل الابن الوحيد ليأخذ طبيعتنا من دماء البتول وجبل نفسه بوضع غير وضعه الطبيعي ، او كيف مشى على المياه بقدمين دون ان تبتلا . كل هذا قد سلم الينا ولنا الحق في بحثه على الا نبتعد عن الخطة المرسومة لنا في الكتاب . فاذا شئنا ان نقول شيئاً في الله او ان نفكر به على اي وجه من الوجوه . وجب ان يكون قولنا وتفكيرنا مطابقاً لما اتتنا به الكتب الالهية » .

الطائفة الارثوذكسية في المكسيك

ان بوادر الوعي الروحي ظاهرة في كل مكان وقد نشرنا في عدد سابق عن بناء كاتدرائية ارثوذكسية في المكسيك ونادٍ ثقافي مجاور انفق عليهما ما لا يقل عن ثلاثة ملايين ليرة لبنانية . ويساهم في هذا النشاط عدة جمعيات نذكرها مع رؤسائها الغيورين : المجلس الملي يرأسه السيد سليم نسط (حمص) ، جمعية السيدات : السيدة حنه ابو مراد (القرعون) ، جمعية التعاون الارثوذكسي : السيد توفيق عطا الله (كفرعقا) ، جمعية الشبيبة الارثوذكسية : ميخائيل جرجس سليمان (دوما) ، وتسعى هذه الجمعية بجد ونشاط في اجتماعات ثقافية روحية من شابات وشباب تعقدها في نادي كنيسة القديس جاورجيوس لاستيعاب التعاليم الارثوذكسية . كما انه منذ عامين تأسست باشراف هذه الجمعية مدارس احدية للاطفال وللكبار بمؤازرة المعلمة الآنسة ماري شويري (دوما) واتقن فريق من تلامذة هذه المدارس خدمة القداس الالهي في الآحاد والاعياد .

ولا يفوتنا ان نذكر انه يشرف على هذا العمل الارثوذكسي المجيد قدس الكاهن الورع النشيط الخوري زخريا زخريا راعي الطائفة الارثوذكسية في المكسيك .

زاوية الاخبار

اخبار حركية

نشرات ميلادية: في الخامس والعشرين من كانون الاول ١٩٤٩ وزعت في سائر المراكز على ابواب الكنائس نشرات وجهتها امانة السر العامة الى الارثوذكسيين بمناسبة عيد الميلاد المجيد . كما ان بعض مراكز الحركة ، كدمشق واللاذقية ، وزعت مع نشرة امانة السر العامة نشرات خاصة اعدتها للغرض نفسه .

المدارس الاحدية : اقيمت في مراكز الحركة كافة حفلات متنوعة بمناسبة عيد الميلاد المجيد ورأس السنة ، والى القراء بعض التفاصيل عنها :

مركز بيروت – احتفلت كل مدرسة من مدارس الاحد في مركز بيروت بعيد الميلاد حيث تناول جميع التلاميذ جسد ودم سيدنا يسوع المسيح . وقد اقامت كل مدرسة حفلة لطيفة لتلاميذها بجو مملوء من الاخوة والمحبة المسيحية ، ووزع المسؤولون على الاولاد هدايا مختلفة بعد ان مثل الاولاد في كل مدرسة رواية ميلادية صغيرة .

حفلة تمثيلية – وقد اقامت لجنة مدارس الاحد في مركز بيروت حفلة تمثيلية عائلية مساء الخميس الواقع في ٢٩ كانون الاول سنة ١٩٤٩ في منتدى مدرسة زهرة الاحسان مثّل فيها فريق من اعضاء مركز بيروت رواية « الصبر مفتاح الفرج » للاديبة السيدة اسمى طوبي . وكانت الحفلة بما تضمنته من مفاجآت في برنامج متنوع موفقة كل التوفيق .

مركز طرابلس – اقيم في مركز طرابلس حفلتان لعيد الميلاد تجلت فيهما الروح التربوية الصرفة : حفلة الصبيان وحفلة البنات . ومما لفت الانظار في هاتين الحفلتين شجرة العيد التي حوت كل الهدايا والجوائز ، وزعها رئيس المركز على الصغار الذين كانت السنتهم تلهج بالثناء وعلائم الفرح طافحة على وجوههم .

وبمناسبة احتفال الكنيسة الارثوذكسية في التاسع والعشرين من كانون الاول بعيد الاطفال الابرار الاربعة عشر الفاً الذين قتلهم هيرودس ، وحيث انه

سبق لمركز طرابلس ان اتخذ هذا العيد كعيد خاص للمدارس الاحدية ، فقد اقيم قداس بهذه المناسبة اقترب فيه كل الاطفال بورع ونقاوة من جسد ودم الفادي الحبيب الذي ولد في قلوبهم منذ بضعة ايام .

صندوق التعاون — وبمناسبة عيد الميلاد المجيد وزعت الهدايا على المحتاجين في زيارة ودية عائلية قام بها بعض الاخوة من مركز طرابلس .

مركز اللاذقية — في الخامس والعشرين من كانون الاول ١٩٤٩ ، اقامت لجنة مدارس الاحد حفلة شجرة الميلاد لتلاميذ الصفوف الابتدائية الذين تتولى اللجنة تعليمهم الدروس الدينية . اقيم الاحتفال في كنيسة القديس جاورجيوس تحت رئاسة قدس الارشمندريت جبرائيل دميان ممثلاً الرئاسة الروحية لتغيب صاحب السيادة المطران تريفن عن المدينة ، وبحضور الكهنة المحترمين واعضاء الحركة وفريق من اقارب التلاميذ .

القيت في الاحتفال كلمة المسؤول عن مدارس الاحد وقد حوت تقريراً مقتضباً عن حالة المدارس الاحدية في اللاذقية ، وكلمات لطيفة من بعض التلاميذ . كما استمع الحضور الى تراتيل كنسية من جوقة الكنيسة واناشيد حركية من جوقة المركز .

وفي نهاية الاحتفال وزعت على التلاميذ الحاضرين الذين زاد عددهم على الثمانمائة هدايا مختلفة وقد جرى كل هذا في جو من النظام والهدوء منقطع النظير ، خيمت عليه روح الطفل المولود .

مركز دمشق — في السادس والعشرين من كانون الاول ١٩٤٩ اقامت لجنة مدارس الاحد في دمشق حفلة لتلاميذها وقد اعدت لهم شجرة العيد في قاعة الدرس في المدرسة التجهيزية الارثوذكسية . افتتحت الحفلة بطروبارية الميلاد وبعض التراتيل الكنسية من الاطفال انفسهم . وكان عددهم يزيد على المئتين ذكوراً واناثاً . ثم القى بعض التلاميذ كلمات رقيقة طيبة تخللتها ارشادات من معلميهم اعضاء الحركة ، واناشيد حركية من التلاميذ انفسهم . ثم جاء حسب التقليد المعروف « بابانويل » يحمل للصغار هدايا العيد ، فوزعها عليهم بيده في جو من المرح والسرور .

وبعد انصراف الاولاد عقد اعضاء لجنة مدارس الاحد اجتماعاً درسوا خلاله مدى نجاحهم في العام الفائت ، ثم انصرفوا شاكرين الرب راجين من السيد المسيح ان يساعدهم وينير خطاهم الى ما فيه خير اولئك الصغار : اصدقاء المسيح .

اخبار ارثوذكسية متفرقة

● حملت الينا البرقيات الاخيرة نبأ انتخاب غبطة البطريرك السيد الكسندروس الثالث الجزيل الاحترام عضواً فخرياً في الاكاديمية الروحية الروسية مع لقب دكتور في اللاهوت . فالحركة باسرها تتقدم من غبطته باخلص التهاني القلبية .

● انتخبت الجمعيات المسيحية التي تؤلف اتحاد الشبيبة المسيحية الدكتور ادوار لحام امين السر العام لحركة الشبيبة الارثوذكسية رئيساً للاتحاد . فله تهانئنا .

● تلقت ادارة « النور » من قدس الارشمندريت جبرائيل دميان كتابه « رفيق المسيحي »، فنشكر له هديته اللطيفة طالبين الى الله ان يوفق قدسه في اتمام تآليفه .

● في نيويورك من اعمال اميركا الشمالية معهد لاهوتي يديره الاب جورج فلورفسكي ، الذي طالع قراء النور مقالاته على صفحاتها ، ويحوي هذا المعهد بين طلابه ستة سوريين . وقد وضع سيادة المطران انطونيوس بشير قانوناً يحرّم فيه سيامة الكاهن ما لم يكن حائزاً على الشهادة الثانوية وشهادة المعهد المذكور .

● يسعى العلمانيون الارثوذكس الروس في الولايات المتحدة في عقد اجتماع في فيلادلفيا لبحث مسألة توحيد الكنائس الارثوذكسية الوطنية . ويبلغ عدد الروس في الولايات المتحدة مليوناً ونيف .

● انتخب مطراناً على ابرشية رومان هوس في رومانيا الكاهن الكاثوليكي المرتد الى الارثوذكسية ، ثيوفيل هيرينيانو .

● افتتح ناد وشيدت كنيسة ارثوذكسية في مدينة اكسفورد مارستون ستريت .

● منذ ايار المنصرم خصص المعهد اللاهوتي في بوخارست دروساً خاصة تتناول التوجيه الحديث يتوجب على جميع الكهنة حضورها .

● عقدت الحركة المسيحية للطلاب الروس مؤتمرين في حزيران المنصرم : الاول في (بيافر) فرنسا والثاني في (برشتسغادن) المانيا وقد درست حالة المنظمة ومسألة اشتراكها بصورة فعالة في المؤتمرات المسكونية .

اصلاح خطأ

ورد في السطرين الاول والثاني من الصفحة ٢١٤ من عدد تشرين الثاني الماضي من هذه المجلة العبارة التالية : ان في العالم اليوم امماً كثيرة ذوات حكومات تعمل على سحق الديانة المسيحية . وهي تنجح بالطبع . والصواب : وهي لن تنجح بالطبع . فاقتضى التنويه بذلك .